

التجميل عند قدماء المصريين

سوف أحاول في تلك النظرة العابرة أن أعرض صوراً من حياة الناس في مصر القديمة عرضاً سريعاً لا عسر فيه ولا جود ، أقامه سهلاً مبسطاً لمحبي الفنون لينير لهم الطريق إلى معرفة طرف من حضارة ذلك الشعب الكريم الذي أحبه الله فرفعه وجعله إمام شعوب الدنيا حينما كان يتيه العالم في ظلمات من الجهل والضلال ، وليعلم أبناء ذلك الجيل أن نيلهم العظيم ساهم في تقديم أول حضارة عرفها الإنسان وقد شهد التاريخ بثبوتها وصبرها على الشدائد والمحن وخلودها مع الزمن .

إن المصريين القدماء فهموا الحياة أحسن الفهم ، وقد دفعهم فناء الحياة الدنيا إلى التفكير في الآخرة ، كما دعاهم هذا الفناء إلى التعلق بها . من أجل ذلك لم يكن ما أودعوه دور الآخرة من متاع الدنيا وزخرفها إلا نتيجة حبهم لها . والقبر لم يكن إلا صورة صادقة لما يقوم في حياة الناس العامة والخاصة ، فلكت صفحات القبور بالرسوم والصور الدنيوية إلى جانب تصوير الحياة الأخرية ، وحفظت بها التماثيل والدمى وأدوات الزينة والتجميل وغيرها .

سنرى أيها القارئ الكريم في تلك الصور الحية من مخلفات المصريين القدماء ما كان يشيع في حياتهم من الاهتمام بالكليات ، وذلك إلى جانب الأعمال العظيمة التي قاموا بها . سنعرف أن النحات المصري حينما قام بنحت أدوات الزينة أراد أن يقدم صوراً من تفكيره واتجاهاته وتصرفه واقتباسه مما يدور حوله من نبات وحيوان وطير ، يتخذ من أشكالها قوارير وأواني وأوعية تضم كحل العيون أو العطور أو المساحيق .

كان للمرأة المصرية القديمة ما للرجل من حقوق وعليها ما عليه من واجبات ، لم تكن مهصورة الجناح ، وكثيراً ما عمل الرجل على إدخال السرور على زوجته ، فقدم لها أطيّب العطور ، وتفانى في إسعادها فهذا بتاح حتب يقول لولده حينما يوصيه بالمرأة « والعطر خير دواء لجسدها » .

لم تخل مخلفات عصر التأسيس والدولة القديمة من تسجيل مناظر الزينة وأدواتها ، وما تكاد حياة الناس في الأيام الأخيرة من الدولة القديمة تنطلق من

عقال الحشمة وتنغمس في اللهو والترف ، حتى أخذوا يرفعون النقاب عن كل شيء ، فسجلوا ما استتر من حياتهم على جدران المقابر . وما أن جاءت الدولة الحديثة حتى تفنن الناس في إخراج الكاليات الخاصة بالزينة من صناديق وقوارير وأواني ومغارف ومرآود وإبر ومرايا من خشب وعاج ونحاس وبرونز وذهب وفضة ومختلف أنواع الحجارة .

نشأت منذ مطلع التاريخ دور للصناعة كانت كعبتها (منف) ، وانتشرت تحت رعاية إلهها (بتاح) ، وعده المصريون رباً للفنون ، وقد ازدهرت فيها على الأخص — صناعة الصائغين والأدوات الدقيقة منذ أيام الدولة الحديثة .

لم يقصد الفنان في مصر القديمة أن يودع فنه الجميل هذا الخزان ، بل أراد أن يتمتع نفسه به ، فما صور الناس وتمثيلهم إلا أدلة واضحة على أنهم كانوا يظهرون في أكمل زينة رجلاً كان أم امرأة ، فقد تساوى الإثنان في التزين بالعقود والأقراط والأساور والخواتم ، وفي كحل العيون واستخدام بعض العطور وأدوات التجميل .

بلغت صناعة أدوات الزينة وغيرها من التحف الأخرى أقصى ما كان ينظر لها من كمال أيام الدولة الحديثة ، فتعددت أشكالها فتارة نجدها قد حاكت بعض أنواع من الزهر ، وتارة بعض أنواع من الحيوان ، وتارة بعض أنواع من الطير .

سنرى من هذا العرض المخاطف . كيف بذل أبناء مصر الفرعونية من جهد وصبر رغم قلة ما أتيح لهم من وسائل القطع والنحت . ولا أحب أن أختم هذا التقديم قبل أن أقرر هنا أن شعبنا حقاً شعب ممتاز .

مواد التجميل والعطور : (١) :

عرف الناس في مصر منذ فجر التاريخ مواد التجميل من كحل وخضابات أو مساحيق أو زيوت معطرة . كل ذلك إدخرته لنا الأيام ليكون دليلاً على اهتمام المصريين بحياتهم الخاصة .

(1) A. Lucas, Ancient Egyptian Materials and Industries, p. 99—118.

١ — الكحل:

أكثر أنواع الكحل انتشاراً (الملائخيت Malachite) ، وهو خام أخضر من خامات النحاس ، وكذلك (الجالينا Galina) ، وهو خام أشهب قاتم من خامات الرصاص . وأولهما كان الأقدم إذ عثر عليه منذ العصر (النحاسي) ، إلا أن ثانيهما حل محله في آخر الأمر وأصبح هو مادة الكحل الرئيسية في الوادي كله .

وجد كلاهما فيما خلفه الناس في مصر القديمة في المقابر على أشكال مختلفة ، فقد عثر على قطع صغيرة من المادة الخام ، وكذلك على بقاياهما على الأحجار أو اللوحات التي كان يسحق عليها .

وكثيراً ما كان يوضع (الملائخيت والجالينا) خاماً في أكياس صغيرة من الكتان أو الجلد ، كما وجدنا في أصداف أو في أواني صغيرة ذات أشكال مختلفة . وكثيراً ما وجد الكحل على شكل كتل اتخذت أشكال الأواني التي حفظت بها ، بل أحياناً ظهرت عليها بعض العلامات التي كانت بداخل هذه الأوعية . كل ذلك دليل على أن هذه المركبات كانت أصلاً عجايب ثم جفت . على أننا لم نعرف حتى الآن المادة التي كان يمزج بها المسحوق الناعم لتكوين العجينة ، ومن المحتمل أنهم استخدموا الماء أو الصمغ أوهما معاً ، ومن الجائز أيضاً أنهم إستعملوا مادة دهنية في تثبيت الكحل على الحواجب وحول العين .

وذكر بعض مؤرخي الرومان أن الكحل المصري كان في أيامهم مركباً من أسود الدخان (السناج) ، وذلك بإحراق نوع رخيص من الكتان أو قشر اللوز . ولا زال الكحل المصري في وقتنا هذا يصنع من (السناج) المنبعث من الزيوت المحروقة أو بعض أنواع من الأخشاب . أما عن طريقة استخدامه فمن المحتمل أن الكحل أولاً كان يوضع حول العين بالإصبع ، ثم بواسطة عود صغير من الخشب أو العظم أو العاج أو المعدن ، يوضع طرفه في مادة دهنية ثم يغمس في المسحوق .

أحضر المصريون (الملائخيت) من صحراء سيناء والصحراء الشرقية ، أما (الجالينا) فعثر عليه بالقرب من أسوان وعلى ساحل البحر الأحمر . كما أنهم

استوردوا كحل العين أيام الأسرة الثانية عشرة من آسيا (١) ، وأثبتت النصوص الميروغليفية أنهم حصلوا عليه أيام الأسرة الثامنة عشرة من بلاد ما بين النهرين (٢) ، وكذلك من بلاد (بنت (٣) = الصومال (٤))

٢ — طلاءات الوجه :

ظهرت المرأة المصرية في العصور القديمة كحيلة العين ، كما زينت وجنتها بمساحيق حمراء اللون . كذلك كانت تطلّي الشفاه بمسحوق أو عجينة حمراء وكانت توضع هذه المادة على الشفاه إما بالإصبع أو بنوع من الفرجون الصغير . أما عن المادة التي كانت تستعمل في هذا الشأن فهي أكسيد الحديد الأحمر وكان يوجد في الطبيعة وهي المغرة الحمراء . ووجدت منها آثار على بعض اللوحات التي كانت تستخدم لسحن المساحيق الخاصة بالزينة .

كذلك عثر على مسحوق أبيض في إناء صغير عام ١٩٤٥ (بتانيس) بالوجه البحري وبعد أن حلل كيماوياً عام ١٩٥٠ ثبت أنه من الحجر الجيري خلط بمادة دهنية لتبقى فترة طويلة على الوجه . أما عن الإناء الذي عثر عليه فقد كان من الذهب لأحد القواد من الأسرة الحادية والعشرين واسمه (أون دباندز) . عثر عليه في حفائر (دير المدينة (٤)) بالصفة الغربية للأقصر على أواني زرقاء على هيئة صحاف . وكانت تستعمل ضمن أدوات التجميل . ووجد على جزء من هذه الأواني مواد صلبة . وقد أذيت هذه المواد فخرجت رائحة قوية قريبة الشبه برائحة الجبن ، وصار الماء لبنياً .

وإذا ثبت ذلك ، كان اللبن ضمن المواد التي إستخدمها المصريون القدماء في التجميل ، بعد إضافة عقاير أخرى ليصبح صالحاً للاستعمال الخاص بترطيب البشرة . وأن ما تستعمله السيدات في عصرنا الحديث من كريم سائل . أو على هيئة عجائن لبنيه يضاف إليه اللبن ، قريب الشبه بما عثر عليه عند المصريين القدماء .

- (1) J. H. Breasted, Ancient Records of Egypt I, p. 281,
- (2) J. H. Breasted, Ibid., II, 501.
- (3) J. H. Breasted, Ibid., II, 265, 272.
- (4) B. Bruyère, Rapport sur Les Fouilles de Deir el Modineh (1934—1935) Deuxième Partie (Le Caire 1937) p. 84ph. 42.

٣ — العطور :

تتألف العطور في مصر القديمة من مركبات الزيت والشحوم ، ومن الطبيعي في جو حار كمصر أن توضع الزيوت والشحوم على الجلد والشعر ، وتلك عادة لازالت شائعة في أيامنا هذه عند أهل النوبة وفي السودان وفي جهات أخرى من أفريقية .

والروائح العطرية السائلة الحديثة ، عبارة عن محاليل كحولية لخلاصات عطرية تستخرج من زهور النباتات أو ثمارها أو لحائها أو أوراقها أو بذورها ولا يمكن أن تكون أمثال هذه العطور قد عرفها المصريون القدماء ، لأن استخراجها يستوجب الحصول على الكحول الذي يذيبها ، وهذا لا بد له من عملية أساسية وهي التقطير . وقد أشار الكيميائيون الذين قاموا بدراسة تحاليل المركبات أن عملية التقطير الخاص بالكحول لم يكشف عنها إلا في العصور المتأخرة .

وإذا ما تركنا الكحول جانبا وجدنا أن الزيت أو الدهن يصلح كل منهما في استخلاص الروائح العطرية من الزهور ، وذلك بأن توضع بتلات الأزهار بين شرائح من الدهن الجامد أو تنقع في الزيت ، وبعد عصر هذه البتلات بالوسائل التي سنعرض لها فيما بعد ، نحصل على الزيت المعطر أو الدهن المعطر .

وقد مارس أهل اليونان (١) في القرن الثالث قبل الميلاد طريقة مماثلة ، فكانوا يستخدمون الزيت المصري أو السوري ، فتنقع النباتات أو منتجاتها من زهور أو حبوب أو أوراق في الزيت ثم تعصر ، وفي بعض الأحيان تغلي في الزيت . وأشار مؤرخو اليونان والرومان بطيب رائحة العطور المصرية ، وأن بعضاً منها كان يحضر من عدة مواد ، وأن عطاراً من العطارين ظل يحوز عطوراً مصرية في متجره ثمان سنوات ولم يصبها التلف طوال هذه الفترة . وذكر بعضهم أن مصر كانت تنتج أنحر أنواع العطور وأجودها (٢) .

(1) Theophrastus, Concerning Odours, VI : 28,30,31,

(2) Pliny, XIII : 2,6.

ومن أهم أنواع الزيوت التي كانت تستخدم في مركبات العطور في مصر القديمة: زيت اللوتس، زيت اللوز المر metopium، وزيت الزيتون الفيج Omphacium، وحب الهال (الحبهان) وغيرها من الزيوت.

ومن الجائز أن أوراق الحناء كانت تستعمل في مصر القديمة، كما يستخدمها بعض الناس في أيامنا الحديثة على شكل عجائن لصبغ راحات الأيدي وبواطن الأقدام والأظافر والشعر. ومن المحقق أن الرومان قد استعملوا الحناء، وقد عثر على أغصان الحناء في الجبانة البطلمية بمنطقة (هواره) بالفيوم.

وليس هناك دليل قاطع على أن المصريين القدماء استخدموا العطور الحيوانية مثل العنبر والمسك، ولم تستخرج العطور في مصر الفرعونية إلا من منتجات النبات من الراتنجات والأصماغ الراتنجية.

٤ — البخور :

استخدم المصريون القدماء البخور، وقد عثر على بعض مواقد للبخور أو رسوم لها. ولكن لا نستطيع أن نتحقق عن أقدم تاريخ لاستخدام البخور وغالباً ما يكون منذ أيام عصر التأسيس. وقد كشف عن مباحر من الدولة القديمة (١). وقد عثر على بخور بقبر توت عنخ آمون (٢) وأشعل بعضه فانبعثت منه رائحة لطيفة. وأهم مواد البخور الكندر (اللبان الذكر) والمر.

الكندر (اللبان الذكر) : (Frankincense (Olibanum

هو عبارة عن راتنج صمغى على هيئة إفرازات من بعض الأشجار لها لون أسمر فاتح مائل إلى الاصفرار أو أحمر قاتم مائل إلى الصفرة، وفي النادر ما يكون رمادى اللون أو أسود. والنوع الجيد من الكندر هو ذو اللون الأبيض والذي جاء ذكره في برديه هاريس (٣) أما عن أهم الأشجار التي تنتج الكندر هي التي تنمو على الاخص في بلاد الصومال والقسم الجنوبي من بلاد

(1) H. Frankfort, The Cemeteries of Abydos. J.E. A. XVI (1930), p. 217.

(2) Howard Carter, Tomb of Tut-ankh-Amen II, Appendix II p, 184.

(3) G. H. Breasted Op. Cit, IV, §§ 233, 239, 299, 344, 376.

العرب ، وهي شجرة صغيرة من صنف *Boswellia* ، وكذلك من شجرة تنمو في شرقي السودان والحبشة تسمى *Compimihora Peduneulata* ولما جاء البطالمة مصر أدخلوا زراعة شجرة الكندر التي تسمى *Thus* ومن الجائز أن بعثه الملكة حتشبسوت التي ذهبت إلى بلاد (بنت) والتي رسمت على بعض حوائط معبدها بالدير البحري سماها (نافيل) كندر (١) . وقد جاء بين الوثائق التي خلفها الرومان ذكر الضرائب التي كانت تفرض على الكندر الأفريقي والعربي الذي يرد إلى البلاد (٢) .

المر :

يستخرج من أنواع مختلفة من الأشجار التي تنمو في الصومال وجنوبي شبه الجزيرة العربية ، وهي التي تعرف باسم *Balsamodendron Commiphora* وكانت توجد على هيئة كتل حمراء مائلة إلى الإصفرار ، وجاء ذكره في النصوص المصرية ابتداء من الأسرة الخامسة . ولم نتأكد حتى هذا التاريخ إن كان المصريون القدماء استخدموا (الجاوى) أو (الكافور) كبخور ، لأن هذه المواد تأتي من الشرق الأقصى الذي لم يكن يعرفه الفراعنة .

القنة :

راتنج صمغى له رائحة زكية ، وهو من نبات يطلق عليه *Peuceanum* وقد وردت إلى مصر أيام الأسرة الثامنة عشر من بلاد فارس ، ومن الراجح أنها هي البخور الأخضر الذي جاء ذكره في النصوص الهيروغليقية (٣) . إنما لم يعثر على نماذج من هذا النوع في القبور المصرية .

اللاذن :

هو راتنج حقيقي لاصمغى وهو عبارة عن كتل سمراء قائمة مطاطة في الغالب ، وهي تفرز من أوراق وأغصان الشجر المعروف تحت إسم *Cistus*

(1) E. Naville, The Temple of Deir el-Bahri, III, p. 12.

(2) H. Schoff, Notes to the Periplus of the Erythraean Sea p. 289.

(3) J. H. Breasted, op. cit., II, § 572.

الذى ينمو في آسيا الصغرى و كريت وقبرص وبلاد اليونان وفلسطين وبعض مناطق البحر المتوسط .

بعض المواد الأخرى التى كانت تستخدم كبخور :

كان النطرون يستخدم كبخور ، إذ عثر فى قبر توت عنخ آمون على خليط من راتنج ونطرون ، وهناك احتمال إن هذا الخليط كان يستخدم كبخور . وقد عثر على الراتنج بكثرة فى قبور مصر القديمة من مختلف العصور وبعض أنواعه له رائحة والبعض بدون رائحة .

٥ — الأخشاب العطرية :

عثر فى قبر توت عنخ آمون على وعاء صغير من الفخار الأحمر يضم أجزاء من سيقان نباتات ، وكتب على الإلناء (عطر) أو (مادة تستخدم فى التعطير). كما عثر على قطع صغيرة من الخشب زكية الرائحة من أيام الأسرة الحادية عشرة فى حفائر اللاهون ، إذ عثر على بعض قطع من خشب بين أدوات التجميل ، كانت تعطى رائحة زكية بعد سحنها والقائها فى الملابس .

كيفية استخراج العطور :

منظر (١) من أيام الدولة الوسطى ، وفيه ظهرت فتيات يقبضن على زهرات من لوتس ، بينما تقوم إثنتان منهن بعصر الأزهار بطريق البرم ، وذلك بوضعها داخل حقيبة من القماش المتين وفى طرفيها عصوان ، وقد أخذت كل من الفتاتين بالضغط على العصا لبرم الحقيبة المملوءة بزهور اللوتس ، فينسب الزيت العطرى من خلال القماش إلى قدر من القدور وضع على الأرض من أسفل الحقيبة . وهذه الطريقة شبيهة بطريقة عصر العنب لاستخراج النبيذ .

(شكل ١) (٢) يحتفظ متحف اللوفر بباريس بمنظر من العهد الصاوى ،

(1) F. Gaillaud, Recherches sur les Arts et Metiers (Les usages des anciens peuples de l'Egypte, de la Nubie et de L'Ethiopie (1831) pl. 15 a .

(2) G, Bènedite, La cueillette du Lis et La "Lirionon" dans Fondation Eugène Piot. T. xxv p. 1—28 pl. IV.

مثل فيه استخراج الزيت العطرى من زهور اللوتس . فإلى اليمين فتيات يقمن بجمع زهرات اللوتس من على سوقه ، وذلك بقطعه ووضعها فى سلال ، وأخرى تجمع بعض الزهر ، ورابعة تحمله فى سلة على رأسها ، ثم تقوم إثنان من الفتيات بعصره بالطريقة سالفه الذكر وبرمه فى حقيبة من القماش المتين ، ثم استقبال السائل العطرى فى وعاء وضع على قاعدة أسفل الحقيبة . (وجدير بالذكر أن هذه الصورة فيها بعض التصرف إذ زيد الإطار الخارجى) .

(شكل ٢) (١) منظر على قبر من قبور طيبة من الدولة الحديثة يمثل صناعة الدهون الخاصة بالنخيل ، ويرى أربعة رجال يقومون بحرش أنواع مختلفة من النباتات العطرية ويسحنونها ، ورجل خامس يمزجها بدهن منصره ، وبعد تبريدها يشكلها رجل سادس على شكل كرات ، ويقوم رجل سابع بترشيح سائل يؤخذ بطريق مصه بأنبوبة من إحدى الأوانى وذلك لمزجه بالخلوط السابق . ويرى بعض الأوانى التى تضم بعض النباتات المستعملة أو الدهن العطرى المستحضر .

التجميل عند السيدات والرجال :

إهتم المصريون بنظافة أبدانهم ، فكانوا أكثر شعوب الشرق القريب فى تلك العصور السحيقة إهتماماً بنظافة الأجسام ، وكانت المرأة فى الشرق أكثر عناية بجهاها من المرأة الغربية فى تلك الأيام البعيدة ، بل إن الغرب تعلم وسائل النظافة من استخدام المساحيق والعطور والاستحمام وما إلى ذلك من الشرق ، ومن الشرق أخذ الغرب كل ما يتعلق بفن التجميل ، لكن انقلبت الآية الآن فأصبح الغرب فى هذا الميدان مدرسة للشرق .

أوجبت العقائد الدينية وطقوسها فى مصر الفرعونية استخدام الماء ، وظهر الناس فى رحاب الآلهة ودور العبادة بمظهر يليق وجلال صاحب الدار ، من أجل ذلك أخذوا زينتهم عند كل منزل من منازل الأرباب ، وفى الحفلات الدينية التى تكثر عند آل فرعون ، وكان لزاماً على كبار الكهنة ورجال الدين

(1) Charles Singer, E. I. Holyard and A. R. Hall, A History of Technology. Volume I (Oxford 1954) fig. 190 p. 292.

أن يضعوا شعراً مستعاراً في بعض المناسبات ، إلى غير ذلك مما يلزم المراسم الدينية . أما في الحياة الخاصة فقد ظهر الرجال والنساء بمظهر حسن خصوصاً في الاحتفالات التي كانت تقام في القصور ودور الأشراف ، فقد حفظت لنا الأيام الكثير من المناظر فيها يستقبل الضيفان من النسوة وهن في أحسن زينة كذلك إعتنى الرجال بشعورهم فعرفوا قص شعر الرأس وحلاقة الذقن ونظافة البدن بوجه عام .

ومما يؤيد اهتمام الناس في مصر القديمة بالنظافة ، أنه جاء في بعض النصوص إشارات إلى كره المصريين للقذارة ، فهذا أحد الأدباء ينصح ولده بالآتي (١) :

« يقبح لولده في تلك المهن التي يصطنعها الجهمال من الناس ، فيصف له ما يصيب صانع النحاس من أذى النار ... ثم يقبح له صنعة النجار ... ثم ما يصيب البناء من تعب يضمنه حتى تكل ذراعه وتعب رجلاه من كثرة ما ما يعمل في الحجارة والطين وأنه كثيراً ما يمرض من كثرة ما يناله من تعب ، يهمل جسده فلا يكاد يلتفت إلى تنظيفه ، ثم هو فوق ذلك قذر اللباس ... » وجاء في النصوص أيضاً أن المصريين كانوا يقومون بغسل أيديهم قبل الأكل وبعده ، وغسل الأيدي قبل الدخول إلى المنزل .

عرف التطهير الجنائزى وكثر تمثيله على الآثار ، أما عن التطهير الدينى فلا نعرف من مناظره إلا القليل . فعلى إحدى جدران قبر الشريف (بتاح حتب) (٢) من الدولة القديمة بسقاره مثل الشريف جالساً على كرسيه وقد قام أحد الخدم على غسل وجهه (شكل ٣) ، بينما وقف الآخر يحمل منشفتان في يديه ، وثالث بيده قطعة من حجر لتهديب الأظافر ، والرابع يقوم على تنظيف قدميه وساقيه أو تدليكهما ، وإلى الخلف من الأمير وقف أحد الخدم يقوم بتجهيز الأدوات ، وإلى خلف الكرسي خادم بيده اليسرى قرد و كلاب من أجل تسلية الأمير أثناء عملية التطهير .

(١) الدكتور أحمد بدوى : في موكب الشمس الجزء الثانى ص ١٦١ (القاهرة ١٩٥٠)

(2) R, E. Paget and A. Pirie, The tomb of Ptah-hotep. London 1898 pl.XXXV; J. Vandier, Manuel d'Archéologie Egyptienne, (Paris 1964), p. 171 et p. 172, Fig. G1.

أما مناظر التنظيف بالماء الخاص بالسيدات ، فقد مثلت إحدى السيدات من الدولة الحديثة (١) (شكل ٤) جاثية على ركبتها عارية ، وأمامها خادمتان إحداهما تصب عليها الماء من إناء ، وإلى يمينها سيدة أخرى تقرب منها زهرة لتشم عبيرها ، وإلى اليسار البعيد إحدى الخادمات تحمل في يسراها حقيبة ، أكبر الظن أنها كانت تضم ملابس خاصة بالأميرة .

قص شعر الرأس عند الرجال :

إهتم الرجال بقص شعر الرأس ، فعلى حائط أحد قبور بني حسن (٢) مثل رجلان (شكل ٥) جاثيان أحدهما وهو الجالس إلى اليمين يقبض على ساق الحلاق الذي يضع يده على رأس الرجل الجاثي ، ويسراه شفرة كانت تستخدم في الحلاقة . أما الرجل الآخر فهو جاث أيضاً مثل زميله وقد وقف الحلاق أمامه واضعاً يسراه على رأسه ويقوم بحلاقة الشعر بالشفرة التي في يده . كذلك إستخدم الرجال الشعر المستعار . أما عن اللحى ، فمن النادر أن نجد المصريين القدماء ملتحين ، بينما أعفى الآسيويون الأقدمون لحاهم . كذلك من النادر أن يرى المصريون بالشوارب مثل تمثال رع حنوب بالمتحف المصري .

اهتمام النساء في مصر القديمة بالعناية بالبشرة :

إن جمال وجه المرأة في ثلاثة أشياء ، في العينين ولون البشرة والشعر . ومركز الفتنة في وجه كل امرأة يتركز في عينيها الجميلتين ، ونضرة البشرة تمنح الوجه ضياءاً وفتنة للأنظار ، كذلك للشفتين وتحديدهما وتلوينهما فتنة وجاذبية . وكثيراً ما صورت السيدات في مصر الفرعونية يقبضن على مرآة ، أو يأخذن بشيء من عطور الزينة من إحدى الخادمات . أما عن تزجيج الحواجب ورسمها وكذلك تهيئة الرموش بالكحل ، فإن صور وتمائيل السيدات والرجال أيضاً خير دليل على إهتمام الناس في مصر القديمة بتلك الناحية . وكذلك الأظافر وتنظيفها وتهذيبها ، فقد عثر على آلات

(1) J. G. Wilkinson, Manners and Customs of the Ancient Egyptions (London 1887) vol. III p. 389.

(2) Dr. Abd el Hamid Zayed, The Antiquities of El Minia, Fig.30
فسر الأستاذ فانديه في كتابه عن المناظر والنقوش في الحياة اليومية (١٩٦٤) والسابق الإشارة
لأيه ١٧٩ أن جزءاً من هذا المنظر يمثل عملية تهذيب أظافر القدمين (Le pédicure)

خاصة بكل هذه العمليات ، حتى الشفريات استخدمتها السيدات في إزالة شعر الجسم ، فقد عثر في قبر الملكة (حتب حرس) على شفريات ، مما يؤيد أن السيدات كن ينظفن أجسادهن بتلك الشفريات . أما شعر الرأس فقد وجدت الموميات الخاصة بالسيدات بشعورهن الطبيعي مسترسله ، وأحيانا بها لقات boucles أو مجدولة بمجداول بسيطة أو طويله رقيقة الشكل .

ويحتفظ المتحف البريطاني (١) بلندن (شكل ٦) على منظر لم نر شيئا له بين الآثار المصرية القديمة ، وهو يمثل إحدى السيدات ، تقبض بسراها على امرأة ، ويمينيها قطعة من القماش لا بد أنها كانت تربت بها وجهها حتى يبقى (المكياج) فترة من الزمن ، كما تفعل سيداتنا الآن باستخدام نائرة الزرور أى (البدارات) ولم يكن (المكياج) عند المرأة المصرية في عهد الفراعنة سميكاً ثقيلاً ، بل كان عبارة عن طبقة رقيقة شفافة يظهر من تحتها لون الجلد الطبيعي ، كما هو واضح في تمثال (نفرت) من الدولة القديمة والمحفوظ بالمتحف المصرى ، وغيرها من مناظر السيدات على صفحات قبور الأشراف في مختلف العصور .

كذلك لونت الوجنات والشفاه بطلاء أحمر كما هو متبع الآن ، وقد عرفت المصرية في عهودها البعيدة هذه تحديد الشفتين بواسطة الفرجون (فرشة صغيرة) ، وهى التى تعتبر الآن من أحدث المبتكرات فى فن تجميل الشفتين . وعلى برديه من البرديات المحفوظة بمتحف تورينو (٢) (شكل ٧) صورت امرأة ووعاء أكبر الظن أنه وعاء العطور ، ويمناها فرجون غمستها فى إناء ثم بدأت تحدد به شفتيها .

تصنيف الشعر عند السيدات:

فطنت المصرية منذ أيام الدولة القديمة أن الشعر بالنسبة للمرأة هو التاج الذى يضمنى على منظرها العام الأبهة والبهاء ، وأنه لآيه الحيوية والشباب ، من أجل ذلك ظهرت المرأة فى مصر القديمة بتصفيقات للشعر جميله حتى أن

(1) E. S. Edward, A toilet scene on a funerary stela of the Middle Kingdom, dans J.E.A. vol. XXIII (1937) pl. xx p.165

(2) James. B. Pritchard, The Ancient Near East in pictures (U.S.A.) 1958 fig 14.

النساء في هذا العصر من أهل الشرق والغرب تسابقن في تقليدها ، وإعتبرن عملهن هذا ضمن المبتكرات الحديثة في فن تصفيف الشعر ، والحقيقة غير ذلك فالآثار المصرية حافلة بكثير من تماثيل وصور لنساء وادى النيل بشعورهن الجميلة ، تنساب طورا على الظهر في إرسترسال بديع ، وأحيانا ترتفع بخصلات الشعر من الخلف إلى أعلا ، وأحيانا يجتمع الشعر بخصلات في الوسط ، وأحيانا أخرى تظهر على الجبهة بعض الخصلات أو مايسمونه (قصة) ، ويربط الشعر في بعض الأحيان بعصاة . وقد لاءت المصرية بين كل تصفيفة من هذه التصفيفات وتكوين الوجه . ظهر كل ذلك في الشعر الطبيعي والصناعي الذي كان تستخدمه النساء في عصر الفراعنة . (أشكال ٨ ، ٩ ، ١٠)

كيف كان يتم تصفيف الشعر عند السيدات :

لم تدخر لنا الأيام من مناظر المراحل التي كانت تتخذ في عمليات تصفيف الشعر إلا ابتداء من الأسرة العاشرة أو الحادية عشرة .

وأقدم صورة تبين إحدى الخادومات تقوم بتصفيف الشعر ، هو منظر على تابوت من الأسرة العاشرة أو الحادية عشرة محفوظ بمتحف برلين (١) تظهر فيه صاحبة التابوت ، وخلفها من تقوم بتصفيف شعرها .

بالمتحف المصري لوح مؤرخ من الأسرة الحادية عشرة ، مثلت فيه امرأة خلف زوجها تحضنه ، ومن خلفها خادماتها تصفف لها شعرها .

بالمتحف المصري منظر على تابوت الأمير (كاويت) ، وقد مثلت فيه الأميرة تجلس على كرسى وفي يدها مرآة ، ومن خلفها مصففة الشعر تقبض على لفة (boucle) من اللفات بين أصابعها ، وأعلى ذلك دبوس به ثلاث لفات ، وأمام الأميرة جارية أخرى تقدم لها إناءاً به سائل ، وقد كتبت ما يأتي (إلى روحك ياسيدي ، ليتك تشربني ما أقدمه لك) وأغلب الظن ان السائل لبن ، إذ مثل على التابوت أحد الخدم يقوم بحلب البقرة .

(1) Gauthier-Laurent, Les scenes de coiffure Feminine dans L'Ancienne Egypte, dans Melange Maspero, Second Fascicule p. 673—696.

مثلت السيدة المسباه (كست) (١)، ومن خلفها خادمتان وقد صورت (كست) هنا يدها اليمنى إلى المائدة الموضوعة أمامها ، ويسراها زهرة قربتها من أنفها لتشم عيقها ، ولم يظهر بشعرها أى تفاصيل . أما عن مصففة الشعر التى مثلت خلفها فقد رفعت ذراعيها ويدها خصلة كبيرة من الشعر . ومن خلف الجارية مصففة أخرى يمينها إناء ويسارها جناح طائر كان يستخدم كروحة ، وذلك شبيه بما نلاحظه فى الأمكنة الخاصة بتصفيف الشعر .

بالمتحف المصرى مجموعة صغيرة من التماثيل تمثل سيدة وقد وضعت طفلها على فخذاها ، ويديها على رأس الطفلة ، والملاحظ أنها مدت سبابة اليدين وأثبتت بقية الأصابع ، ويستدل من الحركات الخاصة بأصابع اليدين أن تلك الأم كانت تقوم بتصفيف شعر إبنتها ، وليس كما ذكر ماسبق ذكر من أن امرأة كانت تقوم (بتفلية إبنتها) . إذ ليس من المعقول أن الفنان المصرى صاحب الذوق السليم كان يصور الناس من بنى وطنه على هذه الصورة ، حتى فى أيام إنطلاق الحريات لم يجرؤ فنانون إختاتون أن يصوروا الناس على هذه الهيئة التى لا يقبلها الذوق الراقى ، والمصريون كانوا يحسون بالجمال ويختارون المناظر التى تعبر عن رقة الشعور .

ويحتفظ متحف (المتروبوليتان) (٢) بمجموعة قريبة الشبه بالمجموعة المحفوظة بالمتحف المصرى ، وهى تمثل إحدى الخادومات تقوم بتصفيف شعر أم ترضع طفلها .

هناك منظر (٣) (شكل ١١) من عهد (تحتمس الثالث) أو (أمنوفيس الثانى) ، وجد على حائط قبر من قبور الأشراف بطيبة . وهذا المنظر كان داخل حجرة النوم ، وهنا تجلس السيدة على مقعد وقد ألقت رأسها إلى الخلف وهى تنظر فى مرآة تراقب عمل مصففة الشعر ، كذلك ظهرت وهى تنكئ على يدها اليمنى ، ومن الرسم يتضح أن المصففة كانت تستعمل مشطاً ، ذلك لأن الخطوط الرأسية الظاهرة تحت اليد اليمنى للمصففة تدل على ذلك

(1) Gauthier-Laurent, op. cit., p. 677—678 Fig. 4.

(2) Hayes, The Scepter of Egypt (New York 1953) Part I p. 222 Fig 138.

(3) Gauthier-Laurent, op. cit., p. 682 Fig 2.

وهذا هو المثل الوحيد الذى أعرفه حتى آخر المكتشفات الحديثة الذى تظهر فيه المصففة وهى تعمل بالمشط .

هناك منظر مؤرخ من عهد إخناتون (١) ، تظهر فيه سيدتان جالستا فى بهو من الأبهاء ، رفع على دعامة ، قمتها على هيئة زهرة البردى ، وسيدة منهما تصفف للآخرى شعرها . وفى الناحية الأخرى هن البهو تجلس سيدة أمام مائدة .

كما توجد مناظر تمثل تصفيف الشعر رسمت على البردى ، فبالمتحف المصرى بردية رقم ٣١١٦٩ J.E. ، عليها منظر ظريف ، إذ لم يمثل هذه المرة أشخاص حقيقيون وإنما أشكال حيوانية ، فالسيدة الأولى مثلت على هيئة فأرة ، وقد صورت الخادمتان على هيئة قطتين ، الأولى تجلس على مقعد وتقرب من فم الفأرة كأساً ، وتقبض الفأرة على شئ أكبر الظن أنه مرآة ، وتقف القطاة الأخرى وهى تمثل هنا مصففة الشعر خلف الفأرة ، وبين أذنيها دبوس طويل غالباً ما كان يستخدم فى تلك العملية .

بعد الذى قدمنا من مناظر لتصفيف الشعر ، وجد بعضها مصوراً على توابيت أو على قبور الموتى ، وبعضها على هيئة تماثيل صغيرة ، إلى غير ذلك بما لا يفسح المجال لذكره ، نستطيع أن نقول أن المرأة المصرية غالباً أنها كانت تصفف شعرها بنفسها ، وإنما كان يقوم على تصفيفه غيرها من خدمها أو إحدى وصيفاتها ، أو أن الأم كانت تقوم بتصفيف شعر إبنتها ، كما نلاحظ من هذه المناظر وغيرها مما لم يذكر . أن المرأة المصرية كانت كثيراً ما تترك شعرها ينساب فوق الظهر وعلى كتفيها ، كما كانت تقسمه إلى قسمين أو ثلاثة بخصلات ، أو تضفره على هيئة جدائل صغيرة تغطى الظهر والكتفين وأحياناً كانت تضيف إلى الشعر جدائل صناعية .

وقد عرفت مصففات الشعر تحت إسم (نشت) . فعلى لوحة محفوظة بالمتحف البريطانى صورة لثلاث خادومات يحملن صناديق خاصة بالشعر المستعار وبأيديهن حقائب وأمام الأولى لقبها (نشت) إنما لم يكن من المألوف عند المصريين القدماء

أن يكون هناك مصنف للشعر يقوم بتصنيفه للسيدات كما هو ملاحظ حالياً، بل كانت هذه العملية خاصة بالسيدات يقمن به لبنى جنسهن ، بينما يقوم الحلاق على عملية قص الشعر للرجال فقط . ومن بين ألقاب الأمراء في الدولة القديمة نجد مثلاً (تى) وهو من كبار موظفي الحكومة في أيام الدولة القديمة، في نهاية الأسرة الخامسة كان يلقب بمدير مصففى الشعر الملكى ، وكذلك كان يلقب أيضاً (رع ور) وهو من كبار موظفى الدولة في الدولة القديمة . وعثر على نقش بمعبد (نى أو سررع) يلقب فيه رجلين بمصففى الشعر الملكى .

وبمتحف (بروكلين) بالولايات المتحدة قطعة من الحجر (١)، كانت أصلاً ملونة باللون الأزرق تمثل مصففة الشعر «إيو أو إنوى» وذلك بجذله . ويبدو لى أن هذه المصففة ربما كانت هى التى تقوم بتصنيف شعر الأميرة (كاويت) (انظر ص ١٧) لأنه هناك شبه كبير بين الصورتين .

كذلك بمتحف بروكلين (٢) أثر آخر عليه تثبت فيها مصففة الشعر حنوت لسيدته التى لقت « بالزوجة الملكية » شعرها وهى السيدة نفرو .

وقد ناقش Elizabeth Riefstall فى مقاله هذا النطق الخاص لمصنف أو مصففة الشعر « إرت irt أو نشت » وقد ناقش المؤلف تأريخ الأثرين ، فوضعهما من أيام الأسرة الحادية عشرة .

وبالمتحف المذكور أيضاً أثر عليه نقش لغائيتين على رأسيهما شعر مستعار بأهداب بها خيط وضع فيه خرز تثبت فى منتصف الرأس (من الجائز أنها كانت من القضة) . وبمتحف المتروبوليتان ثلاث غايات يضعن فوق رؤوسهن زينة تشبه ما وضعته هاتين الغائيتين (٣) .

Brooklyn Museum Bulletin, XIII, 4 (1952), 7—16. (١)

Journal of Near Eastern Studies Volume XV (1956), (٢)
10—17 pl. IX; J. Vandier, Manuel d'Archéologie
Egyptienne Tome IV p. 174 Fig 63 (Paris 1964).

Winlock, Excavation at Deir el Bahri, p. 224, pl. 32. (٣)

ويمكن إضافة منظر آخر لتصنيف الشعر نشره (١) g. Vandier وكذلك نشر E. A. Eisa بحث عن الشعر المستعار (٢) ، وآخر نشره L. Keimer (٣) .

كيفية تصنيف الشعر والطريقة التي كانت تتبع :

من محاسن الصدف أننا وجدنا هذه العملية ممثلة على تابوت الأميرة (كاويت) المحفوظ بالمتحف ، وأكبر الظن أن الأميرة كانت تضع شعراً مستعاراً ، وكان من النوع القصير المسمى *à la garçonn* ، وقد مثل هذا بتسعة صفوف ، وظهرت مصنفة الشعر ويدها (*boucle* لفة) ، واستخدمت السبابة والإبهام وأخذت في رفع ثلاث لفات *boucles* من الصفوف العليا للشعر المستعار (أنظر شكل ١٢) بواسطة دبوس وضع في الشعر المستعار ، وذلك لتضمن عملية تصنيف (اللفات) بشكل منظم ، ثم أخذت في تصنيف اللفات بحيث تغطي أنصاف اللفات السابقة الصف الذي انتهت العمل فيه . ويتوقف إتمام العملية والمدة التي تستغرقها على نوع اللفات ، فقد عرفت المصرية اللفات العادية وكانت أطرافها متوسطة وحلزونية ، ولفات ثابتة عبارة عن خصلات من الشعر مربوطة وملفوفة بلفة حلزونية ، كذلك الجداول الصغيرة . وصورت السيدات بالجدائل مسترسلة على الظهور والكتفين وبها خطوط مائلة ، وهذه هي الطريقة التي صور بها المصريون الجداول .

هذا وقد عثر على شعر مستعار وجد في قبور كثير من قدماء المصريين ، ومحفوظ بعضه بالمتحف المصري أما صباغة الشعر المستعار أو الطبيعي ، فلو حظ

J. Vandier. Moalla (1940) p. 288, pl. XLIII ("IFAOC", (١)

"Bibliothèque d'Etude." t XVIII)

وقد نثر أيضاً هذا المنظر في كتاب فاندیه الأخير عن المناظر في الحياة اليومية والذي أشرنا إليه من قبل .

ASAE, XLVIII, 9—18. (٢)

BIE, XXXIV, (1953), 329—449. (٣)

فى بعض رسوم المقابر والتواييت على شعر مستعار لون بلون وردى ، كما هو واضح على قبر الأميرة (مرس عنخ) من الأسرة الرابعة ، فقد لون الشعر المستعار لأمها (حتب حرس الثانية) بلون وردى . كذلك لون شعر الأميرة عاشيت على تابوتها بالمتحف المصرى (من الدولة الوسطى) بلون مائل إلى الإخضرار ، مما يدل على أن المصريات عرفن صبغة الشعر بهذه الألوان التى تعد حالياً من المبتكرات الحديثة فى التجميل .

الأدوات اللازمة للنظافة اليومية والتجميل

١ — أوعية صغيرة : كان يستعمل هذا الوعاء الصغير للاغتسال ، وكان يوضع به ماء بارد أو ساخن ، وهو عبارة عن إناء مسطح القاعدة له جوانب مرتفعة قليلاً . وقد صنع من مختلف أنواع الحجارة والمعادن (١)

٢ — إناء للماء : وكانت عبارة عن أوانى بيضية الشكل، تصنع من الفخار والحجارة والمعدن، وهذا النوع من القدور عريق فى القدم ، فعثر عليه من عصر (التأسيس) ، ووجدت أباريق كانت توضع على موائد صنعت من حجر أو معدن ، تم إستطالت رقبة الأباريق أيام الدولة الحديثة وأصبح لها أيدى

٣ — المناشف : صنعت من خيوط الكتان ، ووجدت مصورة على جدران التواييت وعلى صفحات القبور، وكثيراً ما وجدت ممثلة إلى جوانب أوانى العطور، وبالمتحف المصرى تواييت كثيرة مثلت على صفحاتها هذه المناشف . ومن المحتمل أنها كانت تستخدم لتدليك الجسم قبل أو بعد الدهون العطرية وذلك إلى جانب إستعمالها فى تجفيف الوجه أو اليدين أو الجسم بعد الاغتسال بالماء، وفى بعض الأحيان وجدت مصورة بجانب الملابس . ومثلت هذه المناشف على هيئة أشرطة من القماش (أنظر ص ١٤ شكل ٣) (٢) . وفى أيام الدولة الحديثة صور الخدم يقدمون لسيادهم المياه لغسل الوجه أو القدم ، وعلى أيديهم منشفة بيضاء تنتهى من إحدى طرفها بأهداب ، وأحياناً من غير أهداب ، كما عثر

1) M. Gustave Jequier, Les Frises d'objets des Sarcophages du Moyem Empire p. 116—120.

2) Gustave Jequier, ibid p. 124, Fig. 330.

فوق بعض الموميات على مناشف بيضاء وحمراء ، ولوحظ في بعض صور التوابيت منشفة لها أكمام وسيقان وتنتهى جميعها بأهداب ، وهذه المنشفة شبيهة بما نسميه (البورنس) .

٤ — المحك : عثر على رسوم لحجارة إسفنجية مصورة إلى جانب (الشفرات) وفي المنظر الخاص بتنظيف الشريف (بتاح حتب) (انظر شكل ٣) ، نرى أحد الخدم يقبض على قطعة مستطيلة الشكل أكبر الظن أنها كانت تستخدم في تهذيب الأظافر أو حكها ، وهى من ضمن أدوات التطهير (أدوات المانيكر)

٥ — الشفرات : عثر على شفرات فى قبور السيدات والرجال ، فعلى قبر (حسى رع) بسقارة من الأسرة الثالثة رسم لصندوق صغير به ثمان شفرات متشابهة وأياديها من خشب الابنوس . كما عثر فى قبر الملكة (حتب حرس) (١) أم الملك خوفو على شفرات من ذهب ونحاس وظران ، مما يدل على أن النساء كن يستعملن الشفرات لإزالة الشعر . كذلك كان لهذه الشفرات حقائب ، وجدت مرسومة على جدران بعض التوابيت (شكل ١٣) وكانت تصنع غالباً من الجلد ، وكان يوضع فيها ثلاث أو أربع شفرات . وتطور شكل الشفرات أيام الدولة الحديثة ، فزودت بأيدى منحنية على هيئة قرن بالتحف المصرى رقم ٦٣٦٨٦ ، J. E. ، كما وجدت بعض رسوم تمثل أدوات كانت تستخدم فى سن هذه الشفرات ، أو ما يسمونه فى لغة الصناعة (مسن) ، وكانت تصنع من حجارة شديدة الصلابة ، ومما يؤيد معرفة المصريين لهذه الأداة أن اسمها وجد مكتوباً باللغة المصرية القديمة بجوار الرسم (٢) .

٦ — الأمشاط : عرف الناس فى مصر القديمة منذ عصر ما قبل الأسرات الأمشاط إلا أننا لم نعثر على مناظر تمشيط الشعر بواسطة المشط حتى الآن إلا على مثل واحد سبق أن قنا بوصفه (انظر ص ١٨ ، ص ١٩ شكل ١١) وقد صنعت الأمشاط من أنواع مختلفة من الخشب (ابنوس وسنط وغيره) ، كذلك من العاج والعظام

1) Bulletin of the Museum of Fine Arts, Boston, supplement to vol XXV.

2) Gustave Jequier, Les Frises d'Objets des Sarcophages du Moyen Empire p. 136. Figs 366 à 370.

كما وجدت أمشاط مسننة من ناحية واحدة وأخرى من ناحيتين ، كما كانت هناك أمشاط لتجميل الشعر .

٧ — دبائيس شعر الرأس :

عثر ببعض المقابر منذ عصر ما قبل الأسرات على دبائيس خاصة بشعر الرأس من مختلف أنواع المواد ، حجارة وعظم وعاج وأخشاب ومعادن . والمتحف المصرى ستة دبائيس خصصت لها قطعة من الخشب نحتت على هيئة سلحفاه ، يظهر على ظهرها ثقبون توضع بها الدبائيس ، خمسة منها تعلوها رؤوس كلاب آذانها مرسله إلى أسفل أما السادس فأذناه مرتفعان (شكل ١٣) . لم يعرف المصريون القدماء (الفرشة) الخاصة بالشعر ، لكن غالبا ما استعويض عنها بهذه الدبائيس التى كانت تستخدم فى حك الجلد دون أن تفك الجداول ، وذلك دليل على أن الناس فى مصر القديمة فطنوا إلى أن تدليك جذور شعر الرأس يتيح له مزيداً من الحيوية والقوة .

٨ — المرايا :

على مرأيا كثيرة من ذهب وفضة ونحاس ، وكانت أياؤها أحيانا من خشب أو معادن أخرى مطعمة بالذهب أو بحجارة أخرى نصف كريمة مثل العقيق أو عجيحة الزجاج . كذلك وجدت المرايا مصورة على التوايت وصفحات القبور بجانب أواني العطور ، ولم تكن المرايا قاصرة على النساء فقط بدليل وجودها مصورة على بعض المقاعد الخاصة بالرجال . أما عن أشكال صفحات المرايا ، فبعضها دائرى مفرطح والبعض كامل الدائرة صفحاتها لماعة ، فقد كان لونها أصفر أو مائل إلى الاحمرار أو وردى اللون أو أحمر داكن . كما عثر على مرأيا جنازية صنعت من الخشب الملون بألوان مختلفة وأحيانا رصمت على بعضها عين ، وهذا كان على سبيل التمثيل الرمزي للرؤية . كذلك كانت توضع المرايا داخل حقائب من جلد أو قماش مطرز . وقد عثر على بعض أوعية للمرايا من الخشب مطعم بحجارة نصف كريمة ، وتضم مجموعة توت عنخ آمون بالمتحف المصرى أوعية خاصة بالمرايا من هذا النوع الأخير مثل رقم ٣٧٧ ، ٣٧٨ من دليل المتحف المصرى . كذلك انتقلت مناظر الرؤية فى المرآه إلى بلدان

المادة التي كانت تستخدم في التنظيف :

من الصعب علينا معرفة اسم هذه المادة ، فهل هي الصابون أو مادة قريبة منه ، هذا وقد لوحظ على صفحات بعض التوابيت المحفوظة بالمتحف المصري بعض الصور تمثل قطعاً ملونة باللون الأصفر أو الأزرق الباهت ، أما عن شكلها فأحياناً مربعة الشكل وأخرى مستطيلة ، كل ذلك وجد مصوراً إلى جانب الشفرات والمرايا (١)

وعثر أخيراً في بعض التوابيت على بعض المواد الخاصة بالتنظيف ، وبعد فحصها وإذا بها في الماء ظهرت فيها رغوى شبيهة بتلك التي تخرج من الصابون . أما عن المادة التي كانت تستعمل في إزالة الدهنيات التي توجد على الجسم أو الملابس فكانت غالباً ما تتكون من النطرون وبعض أنواع من الرماد أضيف إليها زيوت أخرى وبعض المواد الكيماوية . ومن المناظر الطريفة ، شكل يمثل قطعة مربعة الشكل وجدت مرسومة بجانب الابريق والأواني المخصصة للتنظيف ، ومن الراجح إنها كانت تمثل شيئاً قريب الشبه بالصابون .

الأواني الصغيرة التي تضم مستحضرات التجميل

تضم دور تحف الآثار المصرية بين مجموعاتها الكثير من هذه الأوعية التي حاول الفنان في مصر القديمة أن يمثل ما فيها من آراءه في الطبيعة من حيوان وطيور ونبات . وإن حب المصريين للفنون وعشقهم الطبيعة وما فيها من جمال دفعهم إلى نقلها ليس فقط على صفحات القبور وإنما في قصورهم ممثلة في أوعية صغيرة أو تماثيل ، وهكذا يفعل الناس في عصرنا الحديث إذ ينقلون ما يرونه في الطبيعة من فن ساحر وجمال فنان مصوراً أو ممثلاً ، ويحملون به غرفات الاستقبال أو غيرها من حجرات المنزل . سئى معالم الطبيعة أو الحيوان أو الطير ممثلة في هذه الأواني التي بدأ الاهتمام بها لتكون أوعية تحفظ بها مستحضرات التجميل ، ثم تطور الأمر حتى أصبحت تحفاً فنية تصور الطبيعة السمحة ، وتظهر خصائص بعض الحيوانات أو الطيور وبعض غرائزها وما يظهر عليها حين الفتك والغارة ، كل ذلك دفع الكثير ممن يقومون بدراسة علم الحيوان أو الطير

1). Jequier, op. cit. p. 123, Fig 329.

القديم الذى إنقرض ، أن يعتمدوا فى كثير من أبحاثهم على بعض هذه القطع الفنية الرائعة من أدوات الزينة التى استطاع المصرى أن يظهر فيها الكثير من غرائز الحيوان أو الطير . من أجل ذلك سنحاول أن نقدم للقارئ الكريم طرفاً من ملاحظات المصريين للحيوانات أو الطير ، وحسن إختيار المصرى لمناظر الطبيعة ، وتنوع هذه الألوان . سنرى فى هذه القطع الفنية قوة الفن المصرى وصدقه وإحساسه الرقيق ، ودقته فى الإخراج ودراسته للفكرة قبل التنفيذ . ولن نستطيع أن نستعرض جميع تلك الألوان ، وإنما سنكتفى بعرض نماذج فقط .

الأمثلة

صندوق صغير خاص ببعض مستحضرات التجميل محفوظ بالمتحف المصرى على هيئة عجل من الخشب ، طوله حوالى ١١ سنتيمتراً ، عثر عليه (بالقرنة) ، وقد جوف جسد العجل ليضم بعض المساحيق ، أما ظهر الحيوان ورأسه فقد صنعنا من قطعتين ليكونا غطاء الإناء .

إستطاع أن ينجح الفنان فى تمثيل وليد أحد الأبقار ، فصوره تصويراً صادقاً ، فهناك تناسق بين الرأس والجسم وبين الأرجل والأظلاف ، فهذا ثور الحيوان قد صور تصويراً معبراً ، مما يدفعنا إلى الاعتقاد أن العجل كان ينادى أمه . كذلك فتحات الأنف ، والرأس واستدارتها ، والرقبة وانحناءاتها الرقيقة الظاهرة وما فيها من تجاعيد دقيقة ، والأذن واستقامتها ، كل ذلك يدل على دراسة عميقة لهذا الحيوان الصغير حتى خرج على هذه الصورة الصادقة المعبرة ، فهى لم تبعده عن فصيلة الحيوان ، كما تقربه أيضاً من أن يكون فى الوقت نفسه وعاءاً يضم بعضاً من زينة الناس فى مصر القديمة .

إناء بالمتحف المصرى على هيئة عجل موثوق أرجله الأربعة طوله ٧ر٨ سنتيمتراً ، وهذا الشكل يمثل ظهر الحيوان ، أما جوف الإناء فقد حفر بالجانب الآخر ، وقد كان من جراء ربط العجل على هذه الصورة إنضمام مقدمته ومؤخرته فظهر بديناً مكثراً باللحم ، وقد شد إلى أظلاف الحيوان الصغير برعمان ، أحدهما صغير إلصق بمؤخرة العجل والآخر كبير إقترب من رأس الحيوان حتى إتصل بالذقن . ولم يغفل الفنان الكثير من التفاصيل ، فنراه قد إتخذ من مقود العجل المربوط فى رقبتة ذلك الوثاق الذى شد على أرجله وعلى البراعم .

كذلك لم ينس تمثيل ذيل العجل الذى إنثنى حتى إلتصق بالظهر فظهرت الذؤابة ، وتلك أمور نلاحظها فى الحيوانات حيناً توثق ويلقى بها على الأرض تمهيداً لذبحها أو ختمها . كل ذلك أمثلة واضحة تبين إدراك الفنان لكثير من طبائع الحيوان ، من أجل ذلك كان الثمن المصرى فناً خالداً مع خلود الزمن .

بالمتحف المصرى وعاء من العاج (شكل ١٤) طوله ١٦ر٥ سنتيمتراً ، مثل على هيئة أسد يلتهم عجلاً . نلاحظ أن الإناء ليس فى وضع مستقيم ، والسبب فى ذلك هو أن حركة الوثب الخاصة بالأسد وإنقضاضه على فريسته قد دفعت مقدمته إلى الأمام ، وقد إرتكز على المؤخرة التى فقدت . أما معرفة الأسد وأذناه والعينان فقد أتقنهم الفنان إتقاناً واضحاً ، وظهر الذيل والذؤابة بخطوط سوداء فوق الظهر ، ومثل الأسد فاعراً تؤثره فى حركة عنيفة يلتهم مؤخرة العجل الذى يمثل تجويف الوعاء ، وقد صور ذلك الحيوان الأليف جاث على أربعيه ، وقد إلتفت برأسه إلى الوحش الكاسر فى حركة عبرت عنها أسارير وجهه ونظرات عينيه القوية ، وقد ظهر على فم الحيوان الوديع إحساسه بالألم ، وكأنى به وهو يفتح فاهه ويخرج لسانه ينادى أمه أو يستدر عطف ذلك الوحش الذى ينظر إليه بعينين وقادتين . استطاع الفنان المصرى أن يمثل ذلك الصراع العنيف بين حيوان أليف وديع وآخر مفترس قوى قاهر ، ونجح فى تمثيل القوة والضعف وعبر عنهما تعبيراً صادقا نحس به ونادسه ونراه فى ذلك الأثر .

بالمتحف المصرى إناء من الخشب على هيئة بطة عثر عليه (بالقرنة) طوله ١٣ر٥ سنتيمتراً وله غطاء وطعم بمثلثات صغيرة من العاج (رقم J. E.45110) ، مثل الفنان الطائر وهو يلتف برأسه ورقبته إلى الخلف ، وكان يهدف من وراء ذلك أن يخلق من الرقبة ومن الرأس وسيلة تيسر حمل الصندوق الصغير ، من أجل ذلك مثلت رقبة الطائر فى شكل دائرى ، وقد أتجهت البطة برأسها إلى الخلف لتخرج على هذه الصورة الفنية التى لا نرى فيها خروجاً عن بعض خواص هذا الطائر ، فهى تعبر عن بطة أرادت أن تركز إلى الراحة فالت برأسها إلى الخلف . أما الغطاء فقد صنع من قطعة أخرى وأحكم غلقه بمقبضين صغيرين فى كل طرف من الأطراف . (أنظر أيضاً رقم J.E.45119) .
(هذان المثلان محفوظان بالمتحف المصرى) .

إنقل الفنان هذه المرة إلى الماء لينقل إلينا منه بعضاً من أسماكه فيتخذ منها وعاءاً ، صنع من القاشاني الأزرق طوله ١٨ر٨ سنتيمتر ، وهو عبارة عن قاعدة وغطاء ، ومن ذلك نستطيع أن نرى التفاصيل الدقيقة في السمكة من قشور مخفورة ومرسومة وزعانف وذيل ، كل ذلك في خطوط منتظمة واضحة كذلك لم ينس الفنان خياشيم السمكة وعينيها وفمها ، كما تظهر السمكة هنا كما لو كانت ثابتة في الماء لا تتحرك لأنه لم يصور زعانفها منتصبية بل ضمت إلى جسدها ، وإلى أسفل أحد هذه الزعانف نقش اسم الملك (تحتمس الثالث) (هذا الأثر محفوظ بالمتحف المصرى) .

بالمتحف المصرى وعاء صغير على هيئة جرادة (شكل ١٥) رقم J. E.55939 طولها حوالى ١٧ر٢ سنتيمتراً من الخشب إشتريت عام ١٩٣١ ، وقيل إنها من منطقة سقارة وأنه عثر عليها بين هرمى (كاوت ، أبوت) زوجى الملك (تيتى) من ملوك الأسرة السادسة ، وقد مثل غطاء الوعاء في أجنحة الحشرة ، الذى يدور حول مسبار من الخشب إلى القرب من رقبته ، ويلاحظ أن الفنان قد استطاع أن يخرج قطعة فنية رائعة ، إذ راعى النسب الهندسية بين الجسم والرأس والأجنحة . كذلك ظهرت الأجنحة وبها خطوط أفقية منتظمة انتظاماً هندسياً دقيقاً ، بينما حفر على جسمها خطوط رأسية منتظمة أيضاً ، أما الأرجل فقد مثلت خطوطها بشكل يختلف عن الخطوط السابقة وتشابهت بالأرجل الطبيعية للحشرة . من كل ذلك نستطيع أن نقرر أن الفنان كان عليماً بعلم الحشرات ، أما عن تاريخ ذلك الأثر فأكبر الظن أنه منذ أيام الدولة الحديثة (١) .

بمتحف (بروكلين) بنيويورك وعاء صغير على هيئة جرادة من العاج (٢) .

يوجد بين مجموعة آثار توت عنخ آمون وعاء خاص بالدهون العطرية أسطوانى الشكل ، لا زالت به بقايا من هذه الدهون ، صنع الإناء من المرمر

(١) انظر البحث الخاص عن الجراد في الحوليات A.S.A.E. XXXII p. وفيه وضعت هذه الجرادة وغيرها من الحشرات الشبيهة بها والذى استخدم في تجميل أدوات الزينة .

2) Cyril Aldred, New Kingdom art in Ancient Egypt during the Eighteenth Dynasty 1590 to 1315 B.C. (London 1951) pp. 71. 72.

وقد رجح المؤلف احتمال أن تكون من عهد توت عنخ آمون .

وعلى صفحة الإناء الأسطوانى المطعم بعجينة الألوان مناظر من الطبيعة السمجة ، فهذا سبع من السباع يخرج من الأحراش ليفتك بثور فيأخذه من عنقه ورأسه ، بينما يحاول كلب فى سرعة واضحة إلتهايم نخذ الثور الخلفى ، وعلى الجانب الآخر كلاب تطارد ظباءً وغزلانا ، وأحيط الإناء بعمودين علت هامتهما رأس الإله (بس) ، وقد حمل الإناء على رؤوس أربعة من الأسرى ، زنجيان وأسيويان ، وإذا ما أمعنا النظر فى هذه الرؤوس وجدناها معبرة تعبيراً صادقا ، إذ ظهرت عليها تجاعيد الإجهاد الذى تظهر على وجه الأسير نتيجة المشقة من حمل الإناء . أما غطاء الإناء فعلى هيئة تمثال أسد رابض ، يلهث ، ولا يمثل السبع على هذه الصورة إلا إذا أصابه التعب . ويتضح لنا من دراسة هذا الإناء أن الفنان كان عليا بطباع الحيوان وغرائزها ، وعلى ذلك لم يكن الإناء يضم دهنًا عطريا فقط وإنما تحفة فنية رائعة .

يضم المتحف المصرى بين تحفه الخاصة بأدوات الزينة أوعية لم تظهر إلا منذ أيام الدولة الحديثة ، وهى عبارة عن قرون بعض الحيوانات أخذت منها وأعدت لتضم زيتا عطريا .

وقد عثر فى حفائر دير المدينة (١) على قرن وجد داخل أحد التوابيت الخاصة بالسيدات ، و طول القرن ٣٦ سنتيمتراً ، وقد أغلق من نهاية طرفه الواسع بغطاء من خشب ، وعثر بجواره على حلقة من المعدن وضعت أصلا فى الجزء المنحنى من القرن . وكانت تستخدم ليعلق منها بقطعة من القماش كهاو واضح بالصورة فى المرجع المذكور . وثبتت فى الناحية الأخرى من القرن ملقعة من الخشب نقش ظهرها على هيئة يدينى ، وفتح فى راحة اليد ثقب بسيط يوصل إلى ثقب آخر صغير فى هذا الطرف المدبب ليصل منه السائل العطرى إلى الملعقة ، وعثر على قطعة صغيرة من القماش خصصت لإحكام غلق هذا الثقب . وقد احتوى نصف الإناء على سائل دهنى يميل لونه إلى الأخضرار ، وبعد فحصه فحسا كيميايا تبين أنه زيت استعمل فى التعطير . وهذا الوعاء شبيه بالرداذة (البخاخة) الحالية .

1) B. Bruyère, Rapport sur les Fouilles de Deir el Medineh (1934—1935) Deuxieme partie (Le Caire 1937) p. 84 ph.42.

أوعية الكحل :

اهتم المصريون رجالاً ونساءً بعيونهم ، وقد عثر على أواني خاصة بالكحل لها أشكال مختلفة ، صنعت أيضاً من مواد مختلفة من حجر ومعادن وخشب وغاب ، كما وجدت مصورة على التوايت بجوار أواني العطور ، وعثر على بعض هذه الأواني مغطاه بقطع من الجلد ومربوطة برباط من الكتان ، وأحياناً رسمت أكياس الكحل شفافة بحيث ترى منها مادة الكحل .

وعاء صغير على هيئة جزع النخل وينتهي بالسعف وهو معروض بالمتحف المصرى ، وقد حاول الفنان أن يحاكي فيه بعض الأعمدة التى كانت هاماتها على هيئة سعف النخل ، ارتفاعه ١٠.٥ سنتيمتراً . صنع الوعاء من عجينة الزجاج الأزرق ، وقد زينت قاعدة الإناء وهامته بزجاج موج أصفر وأبيض فى غاية الجمال والدقة .

بالمتحف المصرى وعاء للكحل من الفخار على هيئة قنفذ (شكل ١٦) ، استطاع الفنان أن يخرج إناءً أصور فيه الحيوان تصويراً مفصلاً فرسم جلده على هيئة معينات وهى تمثل الشوك الذى يعلو الجلد ، وكذلك أظهر الوجه بجميع تفاصيله . أما فتحة الإناء فواضحة بظهر الحيوان وقد وضع فيها المروود .

الصناديق والسلال التى كانت تحفظ بها أدوات الزينة :

لم يتخذ الناس فى مصر الفرعونيه منصدة يضعون عليها أدوات الزينة كما تفعل الآن ، لكنهم كانوا يحفظون المرايا والأوعية والمغارف (الملاق) والشفرات ودبابيس الشعر والأمشاط وغيرها فى صناديق من الخشب أو فى سلال من غاب البردى ، وكثيراً ما كانت توضع هذه الأوعية والقوارير فى السلال والصناديق أو بجانب التوايت داخل قبور الموتى .

بمتحف (المتروبوليتان) صندوق خاص بأدوات الزينة (شكل ١٧) لسيدة من سيدات الدولة الوسطى من أيام امنمحات الرابع تدعى (كنى) ، عثر عليه عام ١٩١٠ فى قبر أحد الأشراف بطيبة . صنع هذا الصندوق من خشب الأرز وطعم بالعاج والأبنوس ، وقد أعد الجزء العلوى من الصندوق ليسقبل فيه المرأة ، وبالجزء الأسفل درج قسم إلى ثمان فتحات تضم أواني الدهون العطرية ، وقد كتب على غطاء الصندوق اسم امنمحات الرابع داخل

(خرطوش) والتعويذة الخاصة بالقرايين وألقاب صاحبة الصندوق . وعلى الجانب الأمامى للصندوق منظر يمثل (كنى) ، وهى تقدم إناءين مملؤين بدهن معطر إلى الملك امنمحات الرابع ، ويغلق الصندوق بمنزلاج يمر فى فتحة من القضة فى الجزء الأمامى من الدرج ، وبالقرب من الصندوق أوعية خاصة بالكحل صنعت من المرمر أحدها على هيئة أوزتان استدارت رقبتيهما لتكونا عروقتى الإناء ، ومثل الوعاء الثانى على هيئة قرد ، والثالث على صورة إناء مستدير .

بالمتحف المصرى إحدى السلالات التى كشف عنها فى دير المدينة من البوص وغاب البردى بشكل يضاوى طولها ٢٦ سنتيمتراً وعرضها ١٥ سنتيمتراً وارتفاعها ١٣ سنتيمتراً ولها غطاء مسطح . ووجد بالسلة مشطان من الخشب وثلاثة أعواد صغيرة خاصة بالكحل ومحك من الطران وإناء للكحل من المرمر وديوس للشعر من الأبنوس وإناء صغير من الفخار وبقايا أصداف كانت تستعمل كعنصر من عناصر المساحيق التى تضاف إلى بعض مستحضرات التجميل ، ولا زالت بعض مساحيق الصدف تخلط بالطلاء الذى يوضع على الأظافر (المانيكير) لتجعلها براقه .

عثر على صندوق من البوص مؤرخ من العصر اليونانى الرومانى بسقارة وبداخله ثمان زجاجات صغيرة وأصداف ومشط ووعاء للكحل ، وهو محفوظ بالمتحف المصرى تحت رقم J. E . 79039 a' q .

أواني أو مغارف (ملاعق) خاصة بمستحضرات التجميل

إن نقل الفنان إلى لون آخر فى صناعة أرائى أو مغارف خاصة بمستحضرات التجميل ، وأكبر الظن أن هذا الاتجاه الجديد قد خلقته ظروف الأيام حينما اتسعت رقعة الإمبراطورية المصرية فى عصر الراحة والرخاء المادى ، حيث فكر الناس فى التمتع بشمرات الجهاد الطويل . ستظهر هذه الأوعية فى عصر الطرب وما يقوم حوله من إنغماس فى اللذات وما يتبعها من أبهة وعلى الأخص أيام امنوفيس الثالث ، وكان يموج البلاط فى أيامه بالعناصر الأسبوية التى جاءت تحمل خيرات بلادها .

أخذ الفنان يتجه إتجاهاً جديداً يلائم العصر ، فمثل بعضاً من الأسرى

الأسويين ، والجنوبيين ، كذلك الجوارى وهم يحملون أوعية الزينة والتجميل ويضم المتحف المصرى وغيره من دور المتحف العالمية نماذج مما قام بها الفنان من تمثيل هؤلاء الأسرى يحملون بعض الأوعية التى كانت تضم زينة الناس من آل فرعون .

يحتفظ متحف اللوفر بوعاء صغير أو مغرفة من الخشب ، وهنا نرى جارية عارية إلا من حلية فوق صدرها ، وقد ظهرت واقفة على قطعة مستديرة من خشب أغلب الظن أنها من أدوات الموسيقى ، ويسراها كيس من قماش مطرز ، وتحمل فوق كتفها الأيمن معتمدة على ذراعها أثناء آله عروتان حمل على زهرات من لوتس ، أما غطاء الإناء فيتم فتحة بواسطة مسبار متحرك يرى بالقرب من رأسها . والأثر رائع خصوصاً ذلك القوام الرشيق للفتاة ووجهها والشعر الذى ينساب بجذيلة فوق صدرها .

صندوق أو مغرفة (شكل ١٨) ، وترى الجارية وقد وضعت فوق كتفها وعاء آله عروتان ، وربما كان يمثل تجويف المغرفة الخاصة بمسحضرات التجميل ، مثلت الجارية تميل إلى الأمام قليلاً حتى تتمكن من حمل الإناء ، وهناك غزالة تحملها الفتاة لم يظهر منها إلا الرأس . ونلاحظ أن الجارية كانت تضع على صدرها رداءً مطرزاً تطريزاً بديعاً بأشكال هندسية جميلة ، وتدل على أنها فوق الكتف وعلى الصدر جدائل من شعر مستعار .

بالمتحف المصرى وعاء من الخشب إرتفاعه ١٤ سنتيمتراً (شكل ١٩) رقم J·E· 31382 على هيئة أسير حليق اللحية وشعر الرأس ، جاثياً على أحد ركبتيه فوق قاعدة من الخشب أيضاً يرتدى مئزراً قصيراً ، وصدره عار ورأسه كبيرة وعيناه واسعتان وجبهته عريضة ، وملاح وجبهته معبرة تعبيراً صادقا ففى عينيه وفيه إحساس بال ألم وشعور بضيق ، فهو يحمل فوق كتفيه إناءً ، وحفر على الجزء الأسفل للوعاء رسم يمثل فروع بعض الأشجار وثلاثة عجول تعدو ، أما رقبة الإناء فزينت بثلاث طويلة وخط موج ومرجات على هيئة رقعة الشطرنج ، وحفر على الغطاء عجل يعدو وقد طعم بالعاج . والغطاء مقبب وقد ثبت فى الإناء برباط من كتان ، وزود بخاتم من طين عليه نقش . والخلاصة أن الصانع المصرى استطاع أن يصور أسيراً تصويراً واضحاً

عبر فيه تعبيراً صادقاً بما كان يحول بخاطره ، فهو يعلم أن بعض هذه الدهون والعطور يؤتى بها من قلب أفريقية أو من آسيا ، فلا أقل من أن يحملها واحد من أهالى هذه الأقطار البعيدة النائية بعد أن يقطع بها التيا فى والقفار ويشقى فى سبيل إحضارها إلى فرعون مصر (١) .

بمتحف اللوفر صندوق صور على هيئة أسير من أولئك الذين رأينا هم فى الوعاء السابق ، وقد مثل الأسير بشفتين غليظتين وأنف كبير وفك عريض وجبهة ضيقة ، وقد حمل الأسير فوق كتفه إناءً أو صندوقاً أحيط بزهور وأوراق نباتات . استطاع الفنان أن يمثل ذلك الأسير الأسىوى تمثيلاً صادقاً بجميع ما نلاحظه من أسارى الأسرى ، وقد ظهر كبير البطن مكتر الصدر بالشحم واضعاً على ذراعه رداءه (٢) .

المغارف (الملاءق) الخاصة بالمساحيق :

عثر على كثير من الملاءق الخاصة بالمساحيق من مواد وأشكال مختلفة ، ولا تخلو دار من دور المتحف العالمية منها . وسنحاول إعطاء بعض الأمثلة . وأقدم ما كشف من هذه المغارف ما يرجع إلى عصر التأسيس إذ عثر فى حفائر حلوان فى السنوات الأخيرة على مغرفة لها تجويف بسيط وتنتهى يدها برأس غزالة (٣) .

١ — مغارف على هيئة خرطوش :

بالمتحف المصرى مغرفة من الخشب عثر عليها بسقارة عام ١٨٦٣ طولها ٢٠ سنتيمتراً ، وهى مستطيلة الشكل تجويفها على هيئة خرطوش ، نقش بداخله بعض زهور من اللوتس والبروى ، وإلى أسفل الطغراء يد المغرفة ، وقد حفر على وجهها غزالة تعدو شدت من رأسها وأذنيها بحبال ، وأمامها وخلفها زهرات من لوتس .

1) A.S.A.E.T. II Fig. 2.

٢) أنظر أيضاً مجموعات المتحف المصرى فى تضم وعاءين على هذه الصورة تحت رقمى J. E. 31928, J. E. 29356.

3) Zaki Youssef Saad, Royal Excavations at Helwan 1945—1947) pl. Xxlleu b tomb No. 104 and tomb No. 299 H 5.

بالمتحف المصرى مغرفة من هذا النوع يدها على هيئة رأس أوزة منحنية رقبتهما لتكون عروة لتعلق منها، وقد استطاعت رقبة الطائر نخرج منها ثلاث زهرات من بردى يرتكز عليها تجويف المغرفة الذى مثل على هيئة خرطوش وقد زين من الداخل زهرات وبراعم من اللوتس ومياه تسبح فيها أسماك .

٢ — مغارف أيادها على هيئة رأس طائر :

مغرفة بالمتحف المصرى من المرمى طولها ١٤٣ سم، سنتيمتراً رقم J. E . 30759 ، عثر عليها بسقارة ويدها على هيئة جزء من جسم الطائر ، وقد انحنت رأس الأوزة حتى كونت عروة تعلق منها .

٣ — مغارف أيادها على هيئة زهرة :

بالمتحف المصرى مغرفة طولها ٢٦٥ سم، سنتيمتراً من الخشب ، نحتت يدها نحتاً دقيقاً على هيئة مجموعة من زهور اللوتس . وقد راعى الصانع الدقة فى إبراز كثير من تفاصيل هذا النبات . وأعتقد أنه صوّر هذا الزهر يذبت فى إناء إسطوانى الشكل زينت صفحته برسوم هندسية مربعة ومستديرة وخطوط رأسية وعريضة منتظمة إنتظاماً دقيقاً . أما تجويف المغرفة فمثل على هيئة ورقة من أوراق شجر الأرز (١) .

مغرفة من الخشب بالمتحف المصرى طولها ١٥٥ سم، سنتيمتراً عثر عليها بسقارة عام ١٨٩٨ على هيئة زهرة من زهرات البردى يحيطها برعمان ، وقد شدت سوق الزهرة برباط على هيئة حلقات منحوتة فى الخشب .

يضم المتحف المصرى بين ودائعهم مغرفة من الخشب طولها ١٦٥ سم، سنتيمتراً لا يختلف تجويفها عن المغارف الحديثة (الملاعق التى نستخدمها الآن فى الأكل) أما يدها فقد نحتت على هيئة أسنان المشط الذى كان يستخدم فى تصفيف الشعر ، وقد حفر على اليد جدائل مضفرة من الشعر .

بمتحف بروكلين مغرفة أو صندوق صغير على هيئة ثمار الرمان (شكل ٢٠) .

1) Cahier No. 5 supplement des A.S.A.E. p. 39 Fig. 36 et Fig. 37.

٤ — مغارف أياديها على هيئة حيوان :

يبدأ الفنان هذه المرة إختيار موضوع آخر من الطبيعة المصرية السمحة، فيتخذ من الخشب أو العاج تماثيل حيوانية برية وبحرية لتكون أيادي لتلك المغارف ، أما التجاويف فكانت على هيئة حيوانات مائية أو برية أيضاً .
بالمتحف المصرى مغرفة من الخشب طولها ٢٢ سديمتراً C . G . C . 45123 ، يدها على هيئة كلب ينقض بفمه على سمكة التى تمثل تجويف المغرفة . أراد الصانع المصرى أن يتصرف ليجعل من هذا الحيوان بدلاً للمغرفة، فنجده قد نحت الكلب ممتداً أرجله الخلفية وذيله وجسمه ، أما الأرجل الأمامية فتعانه على قضم السمكة ، وتلك عادة نلاحظها عند الكلب حينما يلتهم العظام أو غيرها مما يأكل من أشياء صلبة . أدرك الفنان القديم كل ذلك عند هذا الحيوان ، فلم ينس التفاصيل الخاصة بالكلب ، وكل ما يوجد بالرأس والجسم والأذنين ، أما السمكة فثلث تمثيلاً صادقاً ، فقد نحت جسدها ليتسع للمساحيق ، أما فمها فيلا حظ عليه فتحة ضيقة نتيجة لتأثرها بما أصابها من أنياب ذلك الحيوان . كل ذلك يدل على دقة الفنان المصرى .

٥ — مغارف أياديها على شكل جوارى :

يتجه الفنان المصرى إلى لون آخر من المناظر المنحوتة على الخشب فيتخذ من بعض الجوارى وهن يجمعن زهرات اللوتس أو بضربن على القيثارة ، أيادى لبعض مغارف مساحيق التجميل . وإلى القارىء الكريم بعض هذه المغارف . بالمتحف المصرى C . G . C . 45136 مغرفة طولها ٢٥ سنتيمتراً من الخشب ، تمثل إحدى الجوارى تقف فوق زورق يسير على الماء ، ويخرج من الغدير زهرات من اللوتس ، وغالباً ما كانت تحاول الجارية أن تدفع الزورق بعضاً قد تبقى جزء منها فى يدها اليمنى ، والجزء الآخر ملتصق بالزهر والقارب ، وقد اسندت يدها اليسرى على زهر اللوتس ويخرج من وسط هذا كله تجويف المغرفة وسط زهور اللوتس وثمار بعض النباتات يكتنفها براعم اللوتس . أما الجارية فقد ارتدت مژراً قصيراً ، كما تتحلى بصدرية وتضع فوق رأسها شعراً مستعاراً تدلى حتى صدرها .
تقتنى متاحف الآثار فى أوربا مغارف من هذا النوع الأخير فى غاية الدقة والجمال . وقد آثرت وأنا اكتب وصفاً لبعض أدوات الزينة من هذا النوع

أن أطلع القارىء على طرف من ثروة حضارة مصر الفرعونية نقلها الضعف السياسى إلى أوروبا . ويضم متحف اللوفر بباريس من هذه المغارف أحسنها وأجملها وأكثرها تنوعاً . ومن هذا النوع على سبيل المثال أربع مغارف من الخشب ، إحداهن تمثل فتاة تقف بين زهرات اللوتس ، وقد تجمع بعض من الزهر فوق رأسها . أما الثانية فتتمشى على استحياء بين زهر البردى وهى تحمل قيثارة ، وعلى رأسها زهرات من لوتس يخرج منها تجويف المغرفة . والثالثة (شكل ٢١) تقف فى زورق يسير فوق الماء بين الغاب ورهر البردى ، أما تجويف المغرفة فمستطيل الشكل زين بغدير ينمو حوله البردى . والرابعة (شكل ٢٢) يدها على هيئة جارية تحمل على ذراعيها طيراً وزهوراً .

إستطاع الفنان فى هذه القطع الأربع أن يخرج فتيات مصريات لهن ملامح مصرية صميمة ، فالأولى تلك التى ظهرت بين زهرات اللوتس ، فيها جمال رائع وأناقة واضحة ، خصوصاً شعرها ورداؤها التى رفعتها لتستطيع السير وسط الغاب دون أن يتمزق أو يتلف ، أما الثانية فقد تجردت من ثيابها إلا من قواط حول خصرها ، بينما ظهرت الثالثة فى قوام رائع ورشيق ، ورباعتين عليها مسحة من جمال فتان .

راعى الفنان فى هذه القطع الدقة فى تصوير الزهر والأوراق وأنواع طير الماء ، كل ذلك جاء نتيجة حسن ملاحظته ودراسته العميقة للنبات والحيوان والطير ، فهذا طير الماء الذى صور فى المغرفة الثالثة مثل جالساً على زهرات البردى يستمتع لعازفة القيثارة التى تمر بانغدير ، وقد عودتهم الطبيعة أن يسكنوا عن الصفير حين سماع الأصوات والأنغام الموسيقية .

٦ — مغارف ذات أيدي على هيئة فتيات سابحات (١) :

إتخذ الناس أيام الدولة الحديثة حيث الرخاء المادى ، مغارف لها أيدي على هيئة فتيات سابحات تجردن من الثياب إلا من بعض الأقطعة حول الخصر ، كما زين جدهن ببعض الزينة ، كما وضعت إحداهن قرطاً فى أذنيها .

1) A.S.A.E.T. L 11 Remarques sur les « Cuillères à fard » du type dit à la nageuse.

مثلت إحدى السابحات المعروضة بالمتحف المصرى من خشب طولها ٣٠ سنتيمتراً ، وهى جارية مصرية طرحت على بطنها ، ومدت ذراعيها لتضع فوقهما تجويف مغرفة مساحيق التجميل على هيئة بطة تفتح فيها .

باللوفر أيضاً إحدى السابحات (١) غالباً ما تكون زنجية ، فتصنيفه الشعر وملاح الوجه كلها تدل على صحة هذا رأى ، وقد مثلت مدة على بطنها كزميلتها السابقة ، ووضعت على ذراعيها طير رأسه من عاج وقد طعمت رقبته بالأبنوس ، أما جسمه فكان هو تجويف المغرفة ، وظهرت الفتاة عارية إلا من بعض الأشرطة على صدرها وما تحت خصرها ، كذلك زين جيدها بشئ من خرز .

يقتنى متحف بروكلن (شكل ٢٣) إحدى هذه السابحات من الخشب ويظهر أنها من أهل الجنوب ، صف شعرها بطريقة تختلف عن تلك التى رأيناها عند المصريين ، ومثلت الفتاة مدة على بطنها وقد وضعت على يديها إناءً على هيئة طائر من الطيور ضاع رأسه ورقبته ولم يبق منه إلا الجسم والذيل ، ولم تضع هذه الزنجية إلا قاطا من قماش .

بالمتحف المصرى مغرفة (شكل ٢٤) من الخشب طول يدها ٣٤ سنتيمتراً على هيئة سيدة إستلقت على بطنها ومدت ذراعيها ليوضع عليها وعاء العطور و تجويف المغرفة . ومن النظرة الأولى إلى الرسم نرى فى هذه الحفة الفنية الكثير من العناية التى إمتاز بها الصانع المصرى القديم فأخرج سيدة ذات ملاح مصرية قديمة ، وقد صفت شعرها ، وألقت بجزء من جدائلها المنتظمة على أذنها اليمنى ، وهى آخر المبتكرات الحديثة فى فن تصفيف الشعر وزينت جيدها بصدرية من الخرز وكذلك رسغها إزدان بأساور ، أما جسدها فربط بأشرطة رقيقة عليها أثار من ذهب . ونستطيع أن نقول بعد الذى شاهدناه من جمال التحت فى هذه المغرفة أن الفنان المصرى أعطانا فكرة صادقة عن جمال الأجسام فى مصر الفرعونية ، إلى غير ذلك من سحر العيون وجمال الخلقة وخفة الروح .

1) J. Vandier, Les Antiquités Égyptiennes au Musée du Louvre (Paris 1946) pl. XIII, 1.

خاتمة :

ذلك عرض سريع ومرآة صافية ، نستطيع أن نرى فيها صور الماضى البعيد لحضارة مصر الفرعونية رغم ماضى بها من محن أفقدها الكثير من ذلك التراث ، فوقع بين لصوب الآثار ونقل إلى أيدى المستعمر حينما مرت بلادنا الطيبة بفترة من فترات الضعف السياسى .

نستطيع أن نستنتج مما قدمنا له من قبل مقدار ماترك المصريون القدماء من آثار تدل على سلامة الذوق وصدق التعبير ودقة الملاحظة وحب الطبيعة ، كل ذلك ظهر واضحاً فى صناعة الأباريق والمرايا والشفرات والمغارف والامشاط الخ . أتاحت لهم الأيام الكثير من متاع الدنيا ، خصوصاً أيام الدولة الحديثة إذ تدفق الخير على البلاد ، فأخذ الصناع يصنعون من الحجر والنحاس والخشب والعاج أوان وصحاف زينوا بها دور المترفين . ربما يتهم بعض الناس المصريين القدماء بالإسراف فى صناعة أدوات الزينة أو ميلهم إلى المبالغة فى الكماليات ، لكن حب المصريين للفن وشغفهم بالطبيعة وما فيها من جمال ساحر ، وإيمانهم بالبعث ، كل ذلك دفعهم إلى العناية بكل شىء والإفادة من كل شىء ، ما كان فى حياتهم الخاصة والعامة ، فجمأوا كل ما يرونه وما يقومون بعمله حتى يقرّبونه من درجات الكمال .

لاحظنا فى هذه الدراسة السريعة عبر آلاف السنين أن المصرى كان دائماً التفكير فى الطبيعة ، فصور السمك فى الماء والطير سابحاً والحركة من حول ذلك ، وما ظهر من نبات حول الماء وما فوقه من زوارق ، كل ذلك رسم رسماً واضحاً . كما صور الوحوش الكاسرة والطيور الجارحة فى تماثيل دقيقة رباً وضاع مختلفة . وقد إمتاز فنّه بالتنوع حتى أننا لم نربين هذه الآنية التى قمنا بدراستها إناءاً يشبه الآخر .

نظر المصرى إلى ما حوله من نبات وزهر وإمكان الإفادة مما خلقه الله فى هذه الأعشاب والأشجار من رائحة زكية ، ولماذا لا يتخذ منها عطراً طيباً يملأ نفسه إنشراحاً ، كما أرسلت البعثات إلى بلاد (بنت) أيام الملكة حتشبسوت لاستحضار النباتات العطرية ، كذلك وفد إلى وادى النيل من آسيا الكثير من العطو الآسيوية .

أما عن الضوء الذى ألقته الحضارة المصرية على غيرها من الحضارات فى الشرق القديم فأمر ذلك واضح مما خلفه الناس من هذه الشعوب من قوارير خاصة بالزيت العطرى ومغارف ومرايا الخ ... استخدمها سكان الشرق القديم فى كثير من بقاع فلسطين وسوريا . وتلك صور من الحياة المصرية نقلت إلى بلدان الشرق لتكون دليلا على مقدار تأثير الناس بالحياة المصرية الرفيعة . فهذا أحد الأمراء الاسيويين حينما جاءه سفير مصر (ون آمون) يعترف له بما يلى ويقول « أن آمون أنشأ كل البلاد ، ولكنه أنشأ من قبل أرض مصر التى أتيت منها . لقد أنت منها الصناعة لتصل الى مكاني ، لقد أنت الحكمة منهما لتصل إلى مكاني . . . مامن سفينة إني النهر ليست لآمون . إن البحر ملك له . . » ومن ذلك نرى اعتراف بزعامة مصر فى العلم والصناعة .

وبعد أرجو أن أكون قد وفقت فى تلك النظرة العابرة إلى إظهار بعض معان هذه التحف الفنية الخاصة بأدوات الزينة فى مصر الفرعونية .

دكتور عبير الحميد زايد

الأستاذ المساعد

بكلية الآداب جامعة القاهرة



一、

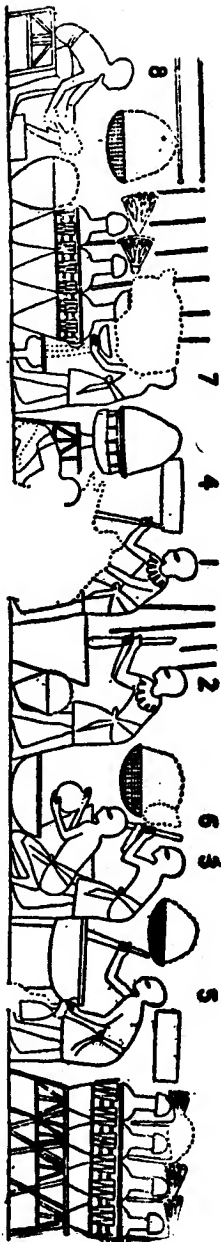


FIGURE 190—An ointment-compounder's workshop. Three assistants (1, 2, 3) crush dried herbs or olives with pestle and mortar. The man crouching (4) is possibly grinding further ingredients on a quern. The mixture is added to the bowl of molten fat and stirred (5). On cooling, it is shaped into balls (6). The seven jars, decorated with flowers, probably contain spiced wine, a useful solvent because of its alcohol-content. An assistant (7) is siphoning wine out of one of them and filtering it into a bowl. The man on the extreme left (8), shaping a piece of wood with an adze, is perhaps the overseer. A bowl heaped with the unguents that have been made rests on a table above the crouching figure. From a tomb at Thebes, Egypt. c. 1500 B.C.

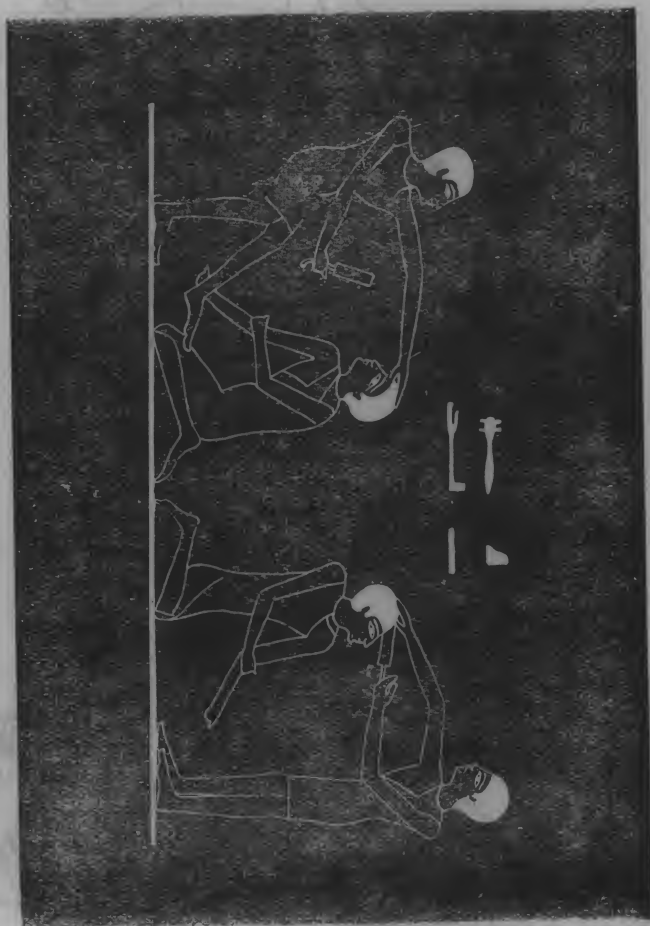


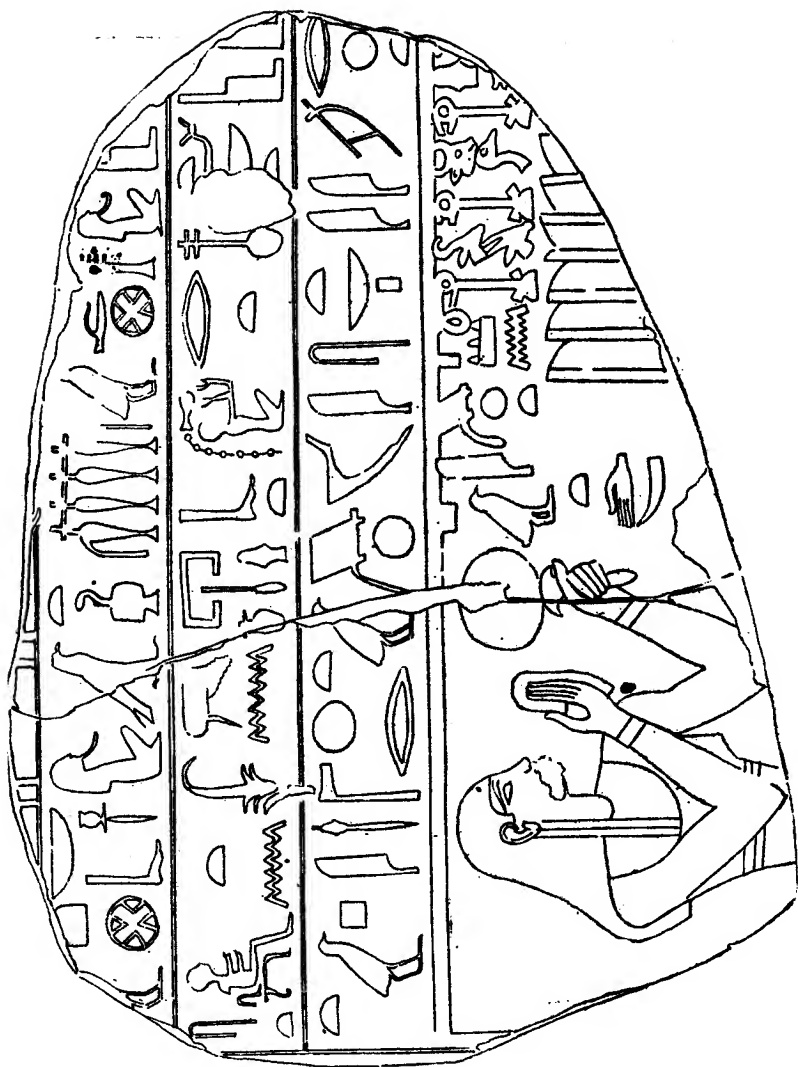
شکل ۳



شکل ۴

شکل ۰





شكر

شکل ۷





شکل ۸



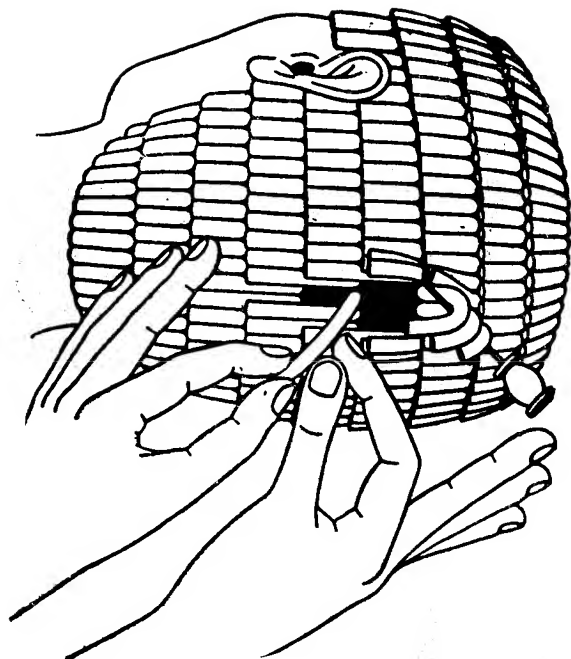
شکل ۱۰



شکل ۹

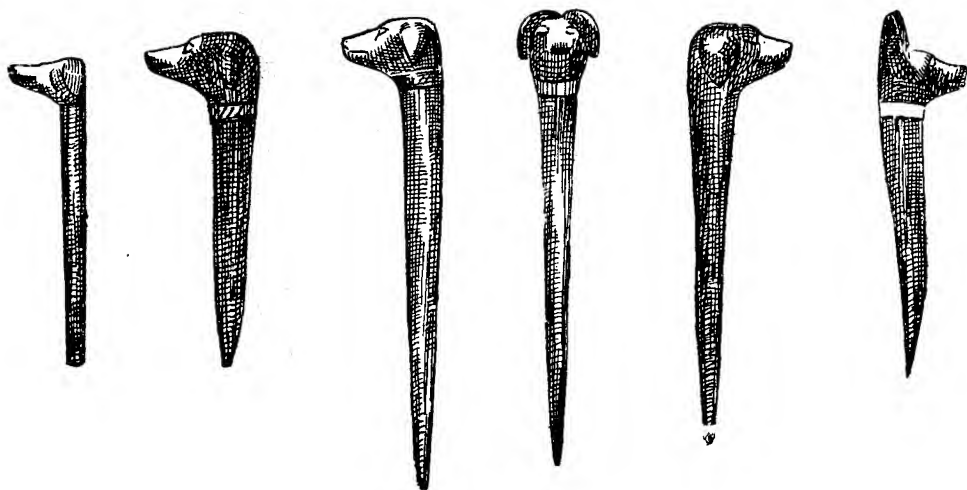
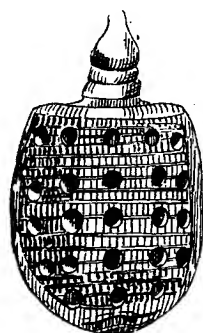


شکل ۱۱



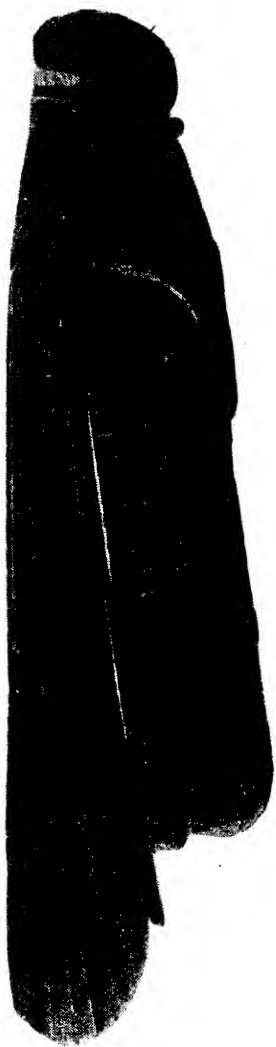
← شکل ۱۲

↓ شکل ۱۳

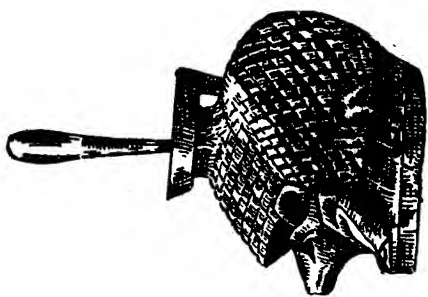




شکل ۱۴



شکل ۱۰



شکل ۱۶





شکل ۱۹



شکل ۱۸



شکل ۲۱



شکل ۲۰



شکل ۲۲



شکل ۲۳

شکل ۳۸

